تقرير عن دورة التثقيف الحضاري الثالثة

نحو بناء الذات الحضارية ووعي الجماعة الوطنية

عكست دورة التثقيف الحضاري في عامها الثالث تراكمًا على الدورتين السابقتين عليها؛ إذ قدمت تنوعيا على عدة مستويات: المعرفية والنظرية والتاريخية والواقعية المادية، لبيان تجليات الذات الحضارية والجماعة الوطنية بين التنوع والتعدد في إطار الوحدة والمشترك. توزعت أعمال الدورة على مدار خمسة أيام:

اليوم الاول: في المسألة الحضارية: بين المفاهيم، الفلسفات والأصول (المستوى المعرفي والنظري).

اليوم الثاني: الذات والأخر: رؤى وتفاعلات متبادلة: بين رؤية من الذات ورؤية للأخر (مستوى التفعيل).

اليوم الثالث: التعدد الثقافي بين الخبرة التاريخية والمعاصرة: رؤية تاريخية (مستوى الخبرات).

اليوم الرابع: الحضارة كما تتحدث عنها عناصر الزمان والمكان والإنسان على صفحات عمرانية وفي الحياة اليومية (مستوى التجليات).

اليوم الخامس: الفن والأدب والمعلومات: الوجه الثقافي (مستوى تجليات).

اليوم الأول: في المسألة الحضارية: بين المفاهيم، الفلسفات والأصول

بدأ اليوم الأول بالكلمات الافتتاحية التي أشارت إلى نقاط مفتاحية لتسكين هذه الدورة وعنوانها وفلسفتها مع الدورتين السابقتين عليها. فمن ناحية، هذه الدورة تعكس تراكمًا على الدورتين السابقتين في الموضوعات، ومن ناحية أخرى يتزايد الإقبال عليها من الناحية العددية، ومن ناحية الدلالة الأكاديمية تعكس اهتمامًا بالدراسات الحضارية والثقافية، ومن ناحية رابعة تعكس انفتاحًا أكبر خاصةً فيما يتعلق بالاساتذة المحاضرين، الذين اتصفوا بالتنوع في الاتجاهات، والتخصصات، والمواقف الفكرية والمعرفية، ومن ناحية خامسة: التحول إلى "وعي الجماعة الوطنية" كجماعة تعيش عيشًا واحدًا عوضًا عن عيش مشتركًا، ومن ثم المراكمة على "الحوار مع الآخر" بـ"الحوار مع الذات"، الأمر الذي تكررت الدعوة إليه في دورات سابقة ومحافل مختلفة، ومن ناحية سادسة: التطلع إلى مزيد من المراكمة على هذا بإخراج أعمال هذه الندوة وتوثيقها في صورة كتاب.

أي التوسع في إطار الجمهور المخاطب من الدورة (من الناحية العددية) والمتخصصين المتحدثين (من ناحية المنطلقات)، والمراكمة على الموضوعات والتوثيق لها، والتبلور على المستوى الأكاديمي وعلى مناط التركيز (الجماعة الوطنية).

وحظي موضوع هذا التركيز على ملاحظة مهمة تبين علاقة الوعى الذاتي بالجماعة الوطنية والإطار الأوسع للوعي الحضاري والتفاعلي مع الأخر، فالوعي الحضاري يتطلب الوعي بالذات، وبالأخر وبالموقف، مما يتطلب طرح عدد من الاسئلة: *من نحن؟* (وإجابته تكون بالمنهج لا بالمادة)، *ماذا نملك؟* وإجابته تتطرق إلى مجالات التاريخ، والتراث، والذاكرة الحضارية، *ما الذي نأخذ وما الذي نرفض؟* وهذا يتطرق إلى الموازين الحضارية التي يجب أن نمسك بها، ونفعلها ونشغلها. *على أي أرض نقف؟* وهو يتطلب رسوخ الأقدام ودراية بطبيعة وجغرافيا الأرض والحضارة. *كيف المسار؟* منهجٌ وطريق يجب أن نقطعه بالإسهام في السير فيه، و سؤال المستقبل: *أين المسير؟*

تحدث أ. د. رفيق حبيب، في مسألة المفاهيم الحضارية أو مفاهيم الحضارة ونستطيع القول أن "الجغرافيا" كانت الكلمة المفتاح لكلمته، كما كان "المكان" و"المساحة" هو المفهوم المفتاح لأغلب محاضرات هذه الدورة. فبدأ بتيمة المكان وارتحال الأمكنة إذ أصبحت "المدرجات" الجامعية خارج الوطن، ومن ثم تحول دورها من بوصلة تحرك الوطن وأخذت مكانها خارجه.

ثم انتقل إلى صلب الموضوع وهو سؤال الهوية، والذي يرى أنه يعكس أزمات سياسية وأزمات وعي، وأن إجابته أصبحت ساحة معارك، فتساؤل الهوية طرح في السبعينيات وبهدف سياسي، واستمرت المعارك لأن كثير من الاتجاهات السياسية تعطي أهمية للهوية، ومن ثم فهي معركة سياسية بالأساس ويعزز ذلك الظرف الدولي، وفساد التعبيرات من كثرة الاستخدام حتى أصبح بلا معنى. بحيث أُريد لنا أن تكون فكرة الوحدة الوطنية قائمة على صراع الهوية بشكل يطرح إشكاليات الوحدة والتنوع. وهنا فإن رؤيته هي أنه لا يمكن أن نكون في سوق الهويات، حيث تتاح لنا بدائل نختار منها، فهنا تكون الهوية أمر لا تاريخي ونكون نحن وعاء فارغ نخرج ما في داخلنا.

وبدأ يعرض لتعريفات بسيطة لتلك المصطلحات التي فسدت وحُملت دلالات ليست منها، لينضبط الحوار حول الهوية والحضارة والثقافة، وعناصرها الأساسية (تجمع بشري– منطقة معينة– اتفاق على نظم وقواعد ومبادئ تنتج نمط اجتماعي: الاجتماع البشري).

وعلاقة هذه العناصر ببعضها وتفاعلها فالفكرة المجردة، أو المتخيلة في ذهن جماعة بشرية تجعل منها شعبًا، هذا الوعى المشترك يراه الدكتور رفيق حبيب في الشارع المصري لأنه إن لم يكن موجودًا لأندثر هذا الشعب.

وهناك علاقة تلازمية لا يمكن فصلها بين المكان والحضارة والوعي الجمعي الحضاري، فهناك بعد جغرافي للمسألة الحضارية، فالإنسان إبن مكانه وهناك إكراه في الحضارة التي هي ابنة المكان، ومن ثم فإن تعبير "حضارة الوسط" تعبير دقيق يشير إلى وسطية جغرافية وحضارية وقيمية أيضًا، لا بصفتها وسيطًا حسابيًا يجمع بين عناصر متناقضة، بل تركيب من شيئين يختلف عنهما اختلافًا كليًا. و من ثم فإن كل حضارة تقوم بدورها في توازن الحضارات الأخرى، لأن كل حضارة لديها ما تقدمه.

ومن المفاهيم الحضارية، وعناصرها إلى التاريخ الحضاري وإشكالية الثابت والمتغير في الهوية وعلاقات الاستمرار والانقطاع الحضاري. فالقراءة البسيطة في التاريخ الحضاري تبين أن كل الأمم في كل مرة كانت تقوم، كانت تستند إلى أن لها هوية وتميز خاص وهناك اتصال بهذه الهوية، ومن ثم لا يوجد انقطاع كامل ولا جمود تام. فالانقطاعات التاريخية غير واقعية، وإنما هي تتكرس لدينا بسبب التحقيب إلى مراحل تاريخية منفصلة، مما يهيء لنا أن المراحل التاريخية كانت في صراع مع بعضها البعض.

وإن أقام د. رفيق حبيب الحجة لأجل التواصل والاستمرار الحضاري، فإنه أيضًا أثار التساؤلات حول الحتمية والاختيار: في الهوية، والماضي، والمستقبل. فإذا كان هناك علاقة تلازمية بين الزمان والمكان والحضارة هل ستكون إجابة سؤال الهوية إذن إجابة واحدة؟ وما دور معطيات الواقع وعلاقته بمعطيات التاريخ في سؤال الهوية؟

وإن عرف د. رفيق حبيب المفاهيم، فإنه قد أثار تساؤلات عن علاقات التخصص الأكاديمي والعلوم البينية وإسهامها في علم الحضارة، وفلسفة التخصصات الأكاديمية هل تبحث عن التوحيد الحضارى أم التمايز الحضاري؟

وبهذا تمهد هذه المحاضرة لتلك التي تليها، حيث تنتقل د. زينب الخضيري: من المفاهيم التأسيسة إلى مستوى فلسفات الأديان. وإن بدأت هذه المرة بملاحظة –للمفارقة– على العكس تمامًا من ملاحظة د. رفيق حبيب عن الشارع المصري: فهي ترى أننا نسير في الشارع المصري ونجد أن الهوية الحضارية غير موجودة بينما رأى د. رفيق حبيب الهوية الحضارية كالجوهر المجرد الذي يمثل الخيط الأساسي الذي يجعل العيش المشترك ممكنًا، ومن ثم فهو أمر يراه في

الشارع المصري وإن كان كامنًا، ترى د. زينب أن الهوية الحضارية أيضًا ذات تجليات تنبئ عن مدى الوعي بها.

وكما تطرق د. رفيق حبيب إلى موضوع التخصص والتشرذم المعرفي وأهمية الحقول البينية للوصول إلى علم للحضارة، تطرقت د. زينب الخضيرى إلى فكرة تطور الحقل المعرفي وتغير علاقاته بالواقع، حيث أنها بدأت كلمتها عن مداخلة تتبعت فيها نمو فلسفة الأديان من حقل معرفي تنبع أهميته من اعتبارات أكاديمية بالأساس إلى موضوع يتداخل مع الواقع المعاش.

وإن كان د. رفيق حبيب تطرق إلى ثنائية معرفية وواقعية هامة وهي ثنائية الثابت والمتغير في الحضارة، فإن د. زينب الخضيرى تطرقت إلى ثنائية لا تقل أهمية وهي ثنائية الفلسفة والدين، وذلك من خلال تتبع تاريخي لتاريخ محاولات تعقل الأديان المنزلة بدءًا من اليهودية ومرورًا بالمسيحية، ومراكز التلاقح والترجمة في العصور الوسطى، وأثر الفلسفة الإسلامية، وترجمة ما هو مستمد من جذور يونانية منها، وترجمة المؤلفات ما بين المعبرة الذات، والشارحة للآخر، وذلك في صورة موازية بعرض مراكز الانفتاح على الآخر المختلف عقائديًّا، وتتبع وجود اللاهوت المسيحي في العالم الإسلامي، وذلك في إطار العلاقة بين دور السلطة الرسمية والسياسية واحتضان الفلسفة والعلم.

وفي هذا الإطار عرضت لنموذج تاريخي للتعامل مع الاختلاف والتنوع والتعددية في إطار العلم، وأشارت إلى حتمية الانتقاء مع الانفتاح لا لأنه ضرورة، ولكن لأن الانتقاء يتم من قبل ذات لها تكونها وتحيزاتها، ومن ثم فإن التصدى يكون على مستوى الدراسة، لا باستبطان رؤية الآخر للذات.

ومن المفاهيم والفلسفات إلى موضوع أكثر تبلورًا وتركيزًا في الإطار المعرفي والأكاديمي، حيث قام أ.د. علي جمعة بالمراكمة على محاضرته العام السابق، حيث جاءت محاضرته لتبني على فهم النموذج المعرفي وفهم اختلاف طبيعته. ومن ثم وللإجابة على التساؤل هل يمكننا بناء أصول الفقه الحضاري؟ (أو توليد العلوم الحضارية بشكل عام)، قام د. علي جمعة بالتطرق إلى المنهج العلمي: مصادر المعرفة (الابستمولوجي) وطرق البحث (المنهاجي) وشروط الباحث (الذات وعلاقته بموضوع بحثه). وهذه الرؤية الكلية (المصادر–الطرق–والشروط) نجدها في المقدمات المعرفية في كتب التراث، والبحث في التراث يكون بالقيام برحلة في أذهانهم: كيف كانوا يتصورون العالم؟ فلتوليد العلوم، يجب الرجوع إلى الأسس المعرفية، وتشغيل المنهج، والمصادر لتوليد العلوم. وفي النهاية تمت الدعوة لعلم الخطاب الإسلامي، لبناء الجسور. وربما فتحت إحدى المداخلات الباب لطبيعة موضوعات الأيام التالية، حيث أثارت موضوع دور النموذج المعرفي وتفعيله في الحياة لا البحث العلمي والإبداع المعرفي فقط.

اليوم الثاني: الذات والآخر: رؤى وتفاعلات متبادلة: بين رؤية من الذات (التحدي والاستجابة) ورؤية للآخر:

في اليوم الثاني قامت أ.د. نادية مصطفى في مداخلتها برسم خريطة للتحديات، بينما قدم أ.د. سيف عبد الفتاح رؤية للاستجابات والاستراتيجيات، وأعقب ذلك محاضرة أ.د. شوقي جلال عن مرايا الذات ونوافذ الآخر.

ففي بداية اليوم الثاني قامت أ.د. نادية مصطفى بمحاولة رسم خريطة التراكم على الدورات السابقة من ناحية، حيث أن في الدورتين السابقتين، كان يتم التعرض لضرورة تجديد الوعي بالأمة الاسلامية دون تعارض مع الوعي الوطني أو القومي من خلال اختبار دلالات مفهوم الأمة لدى المشاركين؛ ومن ناحية أخرى، التراكم على ما سبق تقديمه من حيث الارتباط بالمداخل التي قدمت في اطار اليوم الأول: إنتماء الجماعة الوطنية إلى دائرة حضارية واحدة– تسييس الحديث عن ازمة الهوية– محاور وركائز الحضارة: الدين في قلبها ولكن هي نتاج المكان والزمان، والخروج من هذه المداخل بتساؤلات ومرتكزات للحديث عن التحديات.

فاستخلصت أ.د. نادية مصطفى نقطة مدخلية وردت في كلمة د. رفيق حبيب وهي استخدام الخارج للتدخل في الداخل على نحو ينال من الذات الحضارية والجماعة الوطنية، للوصول إلى مقولة أكثر تعميما وهي فصم الحدود والحواجز بين الداخل والخارج.

وفى نفس الاطار برزت دلالة محاضرة د. زينب الخضيري من خلال تتبع موضوع التعددية في نطاق التراث، في قضية أكثر تعميمًا وهي أحد القضايا الهامة التي تبرز في خضم هذا الفصل بين الداخل والخارج وهي: التعددية والتنوع في الواقع والفكر والاصول، وإذا كان تناول هذا الموضوع قد تم من خلال مدخل فلسفة الأديان ومن خلال البحث في مصادر تراثية فإنه لا بد أيضًا تناوله من مدخل فلسفتنا الراهنة من ناحية (وهنا دلالة محاضرة د. علي جمعة عن توليد العلوم الجديدة لإعادة بناء الذات الحضارية، واليوم الثاني الذي يجعل من "الراهن" محورًا له وأيضًا من مدخل الخبرة التاريخية من ناحية أخرى وهو المحور الاساسي لليوم الثالث.

ومن خلال رسم خريطة سريعة لنمط التحديات التي تواجه الأمة من بعد الحرب الباردة وملامحها الأساسية، ومن خلال ضرب أمثلة لعدة قضايا وعلى عدة مستويات: من ختان الإناث، والانتقال بين الأديان، وازدراء الأديان، وحرية التعبير، ومناهج التعليم، ونماذج التنمية...إلخ.

تم تقديم نموذج لكيفية ترسيم خريطة التحديات وتصنيفها، لا بالتركيز فقط على الأحداث الكبرى الملفتة للنظر ولكن أيضًا بالانتباه إلى الظواهر والقضايا التى تعكس استمرارًا وتواترًا بدون

أن تتصدر عنواين الصحف، وملاحظة سياقات الجدل حولها، والأدوات التي تستدعيها، مع الأخذ في الاعتبار تعقد العلاقات بين السياسي، والعسكري، والاقتصادي، والثقافي وأيضًا بين الداخل والخارج بشكل يلفت للنظر أيضًا إلى البيئة الداخلية الحاضنة للأزمات؛ بشكل يجعل من المهم عدم الوقوف على رسم وفهم خرائط التحديات ولكن اقتراح البدائل والحلول للتوصل إلى استراتيجيات للتعامل معها.

وبهذا تم التمهيد لكلمة أ.د. سيف الدين عبد الفتاح والتي قامت بدورها بالتركيز على الاستجابات.

فالإنسان بوجه عام يواجه التحديات ليؤصل عمران، ومن ثم فإن التحدي لا ينظر له بالضرورة باعتباره عبئًا، بل مبادرة. وكل تحدي يولد استجابة وإن كانت تختلف ما بين الاستجابات الانفعالية، والإغفالية، والافتعالية والالتفات حول التحديات، والتمثيل، وصناعة الرضا الكاذب أو العمل استراتيجي.

وهذا الأخير ويجب أن تكون له استجابة في شكل مبادرات (فكرية – سلوكية – قيمة – عملية – تربوية) واستراتيجيات (وعي، ومعرفة، وسعي) كل هذا في إطار تفعيل النموذج المقاصدي كوجهة ومنهج.

وبعد هذا الرسم لخريطة التحديات والاستجابات قام أ. شوقى جلال بطرح نموذج لعمليات التعامل والتعارف الحضاري من خلال النوافذ والمرايا ورؤى الذات والآخر فيها، بل ورؤية الذات فى مرآة الآخر، بالبحث عن صورة مصر في مرايا اليابان والهند، وأيضًا في إطار التحدي والاستجابة الحضارية، والبحث عن الهوية على مسرح التاريخ والجغرافيا، بدلاً من استهلاك الفكر والرؤى والهويات واستنباط صورة الآخر (الأوروبي) عن الذات.

ومن خلال النظر من نوافذ اليابان والهند تطرق أ. شوقي جلال إلى قضايا "ذاتية" كالموقف من التراث، وآليات إدارة الحوار/الصراع وعلاقتها بأزمات الهوية، ورؤيته هو لمعنى الحداثة، وانتقال المفاهيم ذات الخصوصية الحضارية بدلالات تستعصى أحيانًا على عقل اللغة المنقول إليها تلك المفاهيم، مما أثار عدد من التساؤلات عن كيفية الحكم على ولادة المفاهيم، وكيفية تسكين المفهوم تاريخيًا، وحمولات المفاهيم. بالإضافة إلى عدد من الانتقادات لعرض تجربة الآخر (تجربتي الهند واليابان) من وجهة نظر آخر أيضًا (من مركزية أوربية)، وبالتالي أثيرت مجموعة أخرى من التعليقات حول كتابة التاريخ، ومن يكتبه، ومن يقرأه، ومن أين نستقي معلوماتنا التاريخية، وشكل حركة التاريخ وإمكانية القول بمقولات القطيعة التاريخية.

ومن ثم فإن تلك المحاضرة بالاضافة إلى الفيلم الوثائقى الذي أعقبها والذي تطرق إلى جميع تيمات هذه الدورة (الحضارة – العمران – الوحدة – التنوع – الزمان – المكان) في سياق تجربة حضارية تاريخية "الأندلس"، مهدت لمحور اليوم الثالث والذي قدم رؤية تاريخية جمعت أيضًا المحاور المختلفة للدورة.

اليوم الثالث: التعدد الثقافي بين الخبرة التاريخية والمعاصرة: رؤية تاريخية.

ربما لم يطل ضيف برأسه على هذه الدورة مثلما أطل التاريخ عليها، في هذا الإطار تم تناول موضوعات وتيمات الدورة في إطار الخبرة التاريخية، فتحدث أ.د. قاسم عبده قاسم وجلب معه التاريخ والمؤرخ كلاعب رئيسي لا كساحة اختبار لمجالات معرفية حضارية. فالتاريخ يشكل طبقات في الذاكرة الحضارية، التي تتضمن ضمن ما تتضمن، عالم الحوادث وعالم الرموز، وتتضافر هذه العوالم والطبقات معًا لتشكل التاريخ الحضاري. وهذا التاريخ تراه عين المؤرخ، فهو ليس صفحة بيضاء وإن كان يحكم على التاريخ إلا أنه لا يملك أن يكون محايدًا الحياد البارد تجاهه.

واستدعي التاريخ بدوره عوامل الجغرافيا والفكر: فتحدث د. قاسم عن مستويين متصلين: الطبيعي (الجغرافيا والناس)، والفكري (الموقف من الناس)، حيث تضافر عناصر الكيان السياسي الواحد للدولة الاسلامية، مع المساحة الجغرافية، لتنتج التنوع والتنوعيات في اللغات والحضارات، ولتفرز أنماط مختلفة من التعامل والسياسة مع الذات والآخر، ما بين إنشاء دولة وهي مسؤولية الحكام، وإنشاء الحضارة وهي فعل جماهيري شعبي، وما بين التلاقح، والاعتراف والتنوع والذي عبر عن نفسه في المجالات المعرفية، الفكرية والثقافية والمادية، في إطار وحدة ربطت بين التجليات الحضارية في العالم الإسلامي.

أثارت محاضرة أ.د. قاسم عبده قاسم مسألة التاريخ الحضاري، فالتاريخ ليس تاريخ اللحكام والحوادث الكبرى والانقطاعات السياسية فقط، (كما أن رسم خرائط تفاعلات الحاضر لا تنبع فقط من العناوين الكبرى من الصحف كما أشارت إلى ذلك محاضرة أ. د. نادية مصطفى) بل هو أيضًا تاريخ الاجتماع والأدب والتجارة وسياحة وارتحال البشر واللغة أي تاريخ الاتصال الحضاري. كما أثارت هواجس تكررت خلال الدورة عن من يكتب التاريخ، والصور والهويات، أي استبطان صور الآخر عن الذات.

ومضى بنا المستشار طارق البشري من مرحلة التنوع في ظل الوحدة إلى مراحل التجزئة، مما عكس بالمقارنة بالمحاضرة التي سبقتها، مقارنة بين تأثير علاقات الوحدة والتنوع على نمط التعامل والعلاقات بين الذوات وبين الآخر.

فبدأ المستشار بالحديث عن دلالات مفهوم "الجماعة" وجماعية الإنسان وربط هذا المفهوم المفتاح بمفاهيم الجماعة السياسية، والجماعة الوطنية والمواطنة، والفاعلية، والجنسية، وإرتباط هذه المفاهيم بظواهرها الخاصة (تقاطع الظاهرة السياسية بالظاهرة القانونية مثلًا). بالإضافة إلى أهمية العلاقة بين أسس المواطنة والجماعة الوطنية، وأسس تكوين الدولة، إذ لابد أن تكون الدولة عاكسة للجماعة الوطنية؛ وهنا المدخل الذي تتبع من خلاله إشكاليات التفتت وانفصال الدولة كمؤسسة سياسية حديثة، وأساس تكوين الجماعة الوطنية.

رسم المستشار البشري مثلث بين العناصر المكونة للدولة، فوصف الشعب بالعنصر الحاكم، والأقليم كالبوتقة الجامعة، والتاريخ كصيرورة للجماعة، والعنصر الجغرافي كعنصر مفاعل وليس كعنصر فاعل. وهي العناصر الأساسية لبناء البناء السياسي (الدولة). *فهل البناء الحضاري ستختلف فيه الاوزان النسبية لتلك العناصر وأدوارها طبقا لرؤية رفيق حبيب في اليوم الأول؟*

ترتيب المستشار البشري ورؤته لأدوار تلك العناصر إنما يمثل المرتكزات لما أسماه بانقلاب الظاهرة: أي تحدد الأقليم وفق لعناصر لا علاقة لها بالشعب، الأمر الذي أورثته تجربة الاستعمار. وقامت الدولة ببناء دورها في إطار هذا الشكل، وأصبحت جهاز محكوم عليه ألا تكون له امتدادات خارجية، وأصبح تعامله مع سكانه على حسب ما نشأ لا انعاكسًا لتكوين جماعته الوطنية. وهذه الظاهرة القطرية صبغت نمط التعامل مع الذات والاخر، فنجد أن الحركات الوطنية نشأت قطرية لأن الظروف السياسية كانت تحكم القطر ولا تستطيع أن تتجاوزه، كما فرض أيضًا على هذه الحركات أسلوب العمل (العنف–المقاومة)، ومن ثم أصبحت الخبرات هي نتاج القطر بدون أن تمتد لخارجه، ونفس المنطق ينطبق بالنسبة للتكوينات المؤسسية التقليدية بشكل جعل الحدود التي رسمت في الخارج تثبت في الفكر الذاتي (القابلية للاستعمار).

من ثم تتكون الدول تكوين وظيفي لا بصفتها عاكس للجماعة الوطنية؛ فتنشأ الدولة البوليس، الدولة السوق، الدولة الممر، قواعد الانتاج، القواعد العسكرية...الخ.

وبالتالي فإن هذا اليوم الثالث انتقل من تاريخية التنوع والوحدة، إلى تكتيك التجزئة القطرية، ثم إلى صورة مجهرية لبنية الجماعة الوطنية المصرية الراهنة، وهذا في إطار الفيلم الوثائقي لليوم الثالث.

اليوم الرابع: الحضارة كما تتحدث عنها عناصر الزمان والمكان والإنسان على صفحات عمرانية وفي الحياة اليومية.

اتجه اليوم الرابع لبيان التجليات الحضارية على الصفحات العمرانية بشكل يستدعى عناصر الزمان والمكان والإنسان، واذا كان التاريخ والتعدد (كتنوع أوكتجزئة) هم أصحاب الأدوار الرئيسية في اليوم الثالث، فان اليوم الرابع دار حول المكان والتواصل .

فبدأ اليوم د. حنا جريس لمحاولة "فك خريطة الإشارات العمرانية" عن طريق تكوين خرائط ذهنية متكاملة، وعن طريق الوعي بالمكان، وبيان خطوط التواصل بين التكوينات العمرانية حتى مع دخول الأديان المتعاقبة. وهذا الأتصال في النسق العمراني يعكس اتصال في التشكيل العمراني والعقلي أيضًا، إذ أن العمارة ما هي إلا القدرة على تنسيق الفراغ، فهي تبدأ أساسًا بالقدرة على التخيل. وتشوه تنظيم التكتل السكاني إنما يعكس تشوه للعقل. بل إن إعادة تأويل المعمار إنما هي في المقام الأول عملية إعادة تأويل ثقافي مستمرة، فنحن نعيد تأويل الماضي ليتسق مع الحاضر.

وعكست هذه المحاضرة التجلي العملي المرئي لمفاهيم التواصل الحضاري، ومنظور لرؤية المشترك، ولإعادة فهم وقراءة التاريخ الحضاري للجماعة الوطنية. وإن ركزت هذه المحاضرة على التواصل في المكان انتقلت بنا المحاضرة الثانية للتنوع بين الأمكنة؛ فقام د. وليد عرفة بإعادة طرح العلاقة بين الإنسان والمكان والزمان وفلسفة العمارة وإن كان هذه المرة لرؤية التعدد والتنوع في الذوات الحضارية لا التواصل في الجماعة الوطنية التي ركز عليها د. حنا جريس.

فبدأ بالحديث عن علاقات الإنسان بالزمان وبالمكان، وتحيزه فيهما، باعتبارهما مسرح عمليات الإنسان. فهو يسأل زمانه (شبابه وعمره) وعن مكانه (ألم تكن أرض الله واسعة؟..) وهو يرى أن "أحلى" صور تجسد تلك العلاقة هي في العمارة، فالعمارة ليست أختزال الإنسان لبعده المكاني بل هي تجسيد لإدراك الإنسان لمكانه وزمانه. ومن ثم تم عرض لنماذج معمارية مختلفة ومتعددة، مرتبطة باحتياجات مختلفة، وفلسفات ورؤى للحياة، بل وبأزمنة مختلفة (الماضى والحاضر والمستقبل). وأثارت تلك المحاضرة تساؤلات متكررة عن المقارنة بين تخطيطات المدن والبحث عن الفلسفة والفكر القائمة ورائها، والمقارنة بين الأنماط الحضارية المختلفة، وفي نفس الوقت البحث عن الخيوط المتواصلة في العمران الإنساني المشترك.

انتقلت بعد ذلك بنا د. هبة رؤوف لمحاولة تسكين تلك العلاقات (الإنسان والمكان والزمان) والرؤى الحاكمة لها في تجليات حياتنا اليومية، خاصة في ظل تداخل هذه العوامل، ومعايشة الإنسان لأكثر من زمان ومكان متداخل. وتحدثت عن جسد الإنسان الذي يتحرك في أماكن لها تاريخ ولها ثقافة وتتموضع فيه سياقات مختلفة، ووظائف وأدوار؛ بل والذي يستخدم أحيانًا لملئ مساحات فراغ، وكوسيلة للتعبير. ومع عولمة الأمكنة وتداخل الأزمنة تثور جدلية الاستمرارية والتغير في التعامل مع الجسد والزمان والمكان، فنتحرك في أزمنة متراكمة، وتحولات

بين العام والخاص. حتى يصبح أمامنا نفس المشهد متداخل فيه أكثر من زمان ومكان. ومن ثم فان التعامل مع ذلك يكون بمحاولة فك شفرة هذا التداخل.

اليوم الخامس: الفن والأدب والمعلومات: الوجه الثقافي.

استكمل اليوم الأخير موضوع التجليات في الأدب، والمعلومات والفن بداية مع جمال الغيطاني، كمتحدث وكعلم من أعلام الذاكرة المصرية. ولالة هذه المحاضرة لم تكن منحصرة في عالم الأدب فقط، إذ –وكما علق أ.د. سيف الدين عبد الفتاح– يجب البحث عن مصادر جديدة لدراسة ورؤية للشأن السياسي، ومن ثم فإن كتابته الأدبية تصلح لبيان العلاقة بين الحاكم والمحكوم. وهذه المصادر الأدبية والسير الذاتية قد تكمل بناء خريطة التاريخ الحضاري الذي يبحث عن فروع كثيرة لتضافر في رسمه، ومن ثم تراكم هذه المحاضرة على المحور التاريخي لليوم الثالث وإن كان من مداخل مغايرة.

تطرق أ. جمال الغيطاني إلى نشأته الذاتية، وصور ذاكرته، واختراق معالم هذه الذاكرة ليرسم بها ذاكرة القاهرة واختراق معالم المكان المكون للإنسان. ثم تطرق إلى رغبته في دخول عالم القراءة لاكتشاف عوالم أخرى، أي لتكون الذات بدون خطة واعية وإن كانت الخطة تتكون من خلال المكان، ومن ثم يبين كيف أنعكس المكان على انفتاحه هو على قراءة التراث العربي والغربي بدون الأحساس بالتناقض بين هذه وذاك، وكيف أثر ذلك على الإنتاج الواعي هذه المرة بإعادة اكتشاف التراث العربي، والإسقاط والرجوع للذاكرة الأدبية للتمكن من الإبداع الخاص الذاتي، والحذر من فخاخ الثنائيات... أي كيفية أنعكاس التكوين على الإبداع، بالرغم من أن التكوين مخطط والإبداع لا يجب له أن يكون مؤطر. وهذه العلاقة المتبادلة التأثير يجد مفتاحها باكتشاف الخصوصيات (وأول مداخلها العمارة) ثم الإبداع، واكتشاف تفاصيل المشترك بدون حذف، وتفكيك عصور تاريخية للتورية بها على الحاضر: أي قراءة المكان والزمان قبل قراءة الأدب وكتابته.

ثم قام د. نبيل على باستكمال تلك الرؤية عن الثقافة والمعلومات، فتحدث عن مشكلة تنمية المعلوماتية تحت قبضة التكنوقراط، لأن المعلوماتية قضية ثقافية ومعرفية في المقام الأول، وأن أزمة العالم تتمثل في أن الاقتصاد هو الذي يقوم بالقيادة لا الثقافة، ومن ثم فإنه –وكما علق أ.د. سيف الدين عبد الفتاح– بين ركام المعلومات تتوه المعرفة وبين ركام المعرفة تتوه الحكمة، فالتكنولوجيا هي قضية ثقافية واجتماعية في المقام الأول؛ إذ يجب أن نطرح التساؤل: هل التكنولوجيا تعمل لمصالح الفقراء؟ هل تطبيقها مسؤلية أخلاقية وثقافية؟ ماذا عن الفجوة الرقمية؟ ماذا عن دور المثقف وشكل ارتباطه بقضايا مجتمعه؟

ومن ثم أعطى د. نبيل للثقافة النصيب الأكبر من كلمته، فهى منظومة متكاملة من الإعلام والتربية والإبداع والقيم واللغة. وهى ذاتية فالإبداع مهم أن يكون بأسلوب الفقراء وإمكانياتهم. ومن منظومة الثقافة انتقل إلى الأمر الأخطر وهي علاقاتها مع المنظومات الأخرى السياسية والاقتصادية والعسكرية، وتأثير تلك العلاقات بين المركز والهامش على السياسيات والتوجهات.

واستكمالاً لمداخل طُرِحت طيلة أيام الدورة قدم د. نبيل على رؤيته عن الإبداع وموقعه في العصر الراهن، وإرتباطه بالخصوصيات الثقافية واللغوية والرمزية خاصة في المجال المعلوماتي، ومشكلة استهلاك الفضاء المعلوماتي وعدم المساهمة في انتاجه، بل وكيفية التعامل مع الطوفان المعلوماتي لا بالاقتناء وإنما بالانتقاء، وتحويل القارئ إلى قارئئ استراتيجي يجعل من وحدة المعرفة المفهوم لا المعلومة.

واختتمت الدورة بآخر محاضرة للدكتور مصطفى الرزاز الذي استطاع أن يربط خيوط المحاضرات السابقة في محاضرته، فبالمعرفة – الكتب – المعلومات – المكان –العمارة – السياق – فخاخ الثنائيات الزائفة – اكتشاف الفجوات قام د. مصطفى بنسج محاضرته عن الفنون والتكوينات الحضارية في إطار مخطط مفاهيمي، استطاع به رؤية محاولات طمس وازاحة الثقافة المصرية، وبيع الذاكرة المصرية.

وتطرق إلى إرتباط فهم الثقافة تاريخيًا، من ثقافة بصرية نستقيها من استقراء الصورة إلى ثقافة لغوية ثم عمرانية، وانتقل إلى كيفية إحداث القطيعة الإبستمولوجية مع المشروع الحداثي، عن طريق محاولة العزل عن الجذور وفتح باب اختيار وحد، والتعقدات التي وسمت تلك العلاقة بين الأنظمة الحضارية الموجودة والوافدة.

وربما كان أهم قضية طرحتها هذه المحاضرة الأخيرة، هي قضية استراتيجيات الاستمرار والانقَطاع الحضاري، فبالرغم من أنه قد تم التعرض بشكل مستفيض لكيفية احداث الانقطاع والتحديث، الا أنه –على مستوى الفنون مثلاً– حدث احتضان من الفنون الشعبية لتلك الفنون الرسمية التي عطلت واستبدلت بالنموذج الغربي. وربما كانت هذه القضية تلخص الاشكالية الاساسية لهذه الدورة: وهي الذات الحضارية بين الاستمرار والتواصل والانقطاع؟ فعلاقة الاستمرار والانقطاع علاقة معقدة لا تقع في شكل ثنائية جامدة بل تتضافر في شكل عمليات معقدة نرى أثارها على الاشكال العمرانية، وفي التاريخ الحضاري وفي مصادر ذاكرة الجماعة الوطنية.